الفصل الثالث

كتاب تعاليم الثورة

عندما تتكسر الطاولة المستديرة يجب على كل رجل أن يتبع إما غالاهاد أو مودّريد الأشياء الوسطية قد ولت.[1]

سي. اس. لويس

ما الذي يرتئيه ويعلمه هذا الدين الجديد، هذا الإيمان الجديد الذي جاء على أجنحة الثورة؟ كيف يختلف هذا الدين عن الدين القديم؟

أولاً، إن هذا الإيمان الجديد هو من هذا العالم، وبهذا العالم، ومن أجل هذا العالم فقط. إنه يرفض أن يعترف بأي نظام أخلاقي أعلى منه، أو بأي سلطة أخلاقية أعلى منه. وأما بالنسبة إلى العالم الآخر فإن هذا الدين يسلمه بكل سعادة إلى المسيحية وإلى الأديان التقليدية طالما كانت هذه الأديان مبتعدة عن الميدان العام وعن المدارس العامة. وأما بالنسبة إلى القصص الإنجيلية القديمة عن الخلق، وعن آدم وحواء، وعن الحية في الجنة، وعن الخطيئة الأصلية، وعن الطرد من جنة عدن، وعن موسى على جبل سيناء،

obeikandl.com

وعن الوصايا العشر وكونها منقوشة في الحجر وتُلزم كل الناس - اعتقد بكل ذلك إذا كنت ترغب فيه، ولكن هذه المفاهيم لن تُدرّس ثانية بوصفها حقيقة. وذلك لأن الحقيقة، كما اكتشفها دارون وأكدها العلم، هي أن نوعنا وعالمنا نتائج عجيبة لأحقاب من التطور. ويصرح البيان الثاني المعروف باسم البيان الإنساني والمكتوب في العام ١٩٧٣ بأن "العلم يؤكد أن النوع البشري هو ظهور من قوى طبيعية تطورية."[٢] تلك الصورة الموضوعة على الجدار في درس علم الحياة في الفصل الدراسي لقردة تمشى على أربع أرجل، ثم على اثنتين، ثم تتطور إلى الإنسان المنتصب القامة -تلك هي الكيفية التي حدث بها التطور.

وللإنجيل الجديد حقائقه الحاكمة: لا يوجد إله، لا توجد قيم مطلقة في الكون، وما فوق الطبيعة خرافة. وكل الحياة تبدأ هنا وتنتهي هنا، وغرضها هو السعادة الإنسانية في هذا العالم، وهو العالم الوحيد الذي سنعرفه مطلقا. وكل مجتمع يؤسس نظامه الأخلاقي الخاص به، ومن أجل زمنه الخاص، ولكل رجل ولكل امرأة الحق في أن يعملوا الشيء نفسه. وبما أن السعادة هي غاية الحياة وبما أننا مخلوقات عاقلة، فإننا نملك الحق في أن نقرر متى يرجح ألم الحياة على لذة الحياة ومتى ننهي هذه الحياة، إما بأنفسنا أو بمساعدة الأسرة أو الأطباء.

في الميدان الأخلاقي الوصية الأولى هي "جميع أساليب الحياة متساوية." والحب ومصاحبه الطبيعي، من الجنس، أمور صحية وجيدة. وجميع العلاقات الجنسية الطوعية مسموحة، وجميعها متساوية من الناحية الأخلاقية - وهي ليست من اختصاص أحد، وإنما هي من اختصاص صاحبها، وبالتأكيد ليست هذه العلاقات من اختصاص الدولة لتمنعها. وهذا المبدأ الذي يقول -جميع أساليب الحياة متساوية - يجب أن يكتب ويدخل في القانون، وأما أولئك الذين يرفضون احترام القوانين الجديدة فينبغي أن يعاقبوا. وإن إبداء عدم الاحترام لأسلوب حياة بديل يصم المرء بأنه متعصب. والتمييز ضد الذين يتبنون أسلوب حياة بديلاً هو جريمة. إن كراهية اللواطيين وليس اللواط هي الشر الذي يجب أن يستأصل.

والوصية الثانية هي "لا تكن ميالا إلى إصدار الأحكام." ولكن الثورة لم تكن ميالة إلى إصدار الأحكام فقط بل كانت قاسية على أولئك الذين يخرقون الوصية الأولى. كيف يمكن الدفاع عن هذا المعيار المزدوج الظاهر؟

وفقا لتعاليم دين الثورة، فإن النظام الأخلاقي المسيحي القديم الذي يدين ممارسة الجنس خارج الزواج ويرى أن اللواط غير طبيعي ولا أخلاقيا هو نظام أخلاقي مغروس في الانحياز، وفي التعصب الإنجيلي، وفي العقيدة الدينية، والتقاليد البربرية. إن

النظام المسيحي القمعي والقاسي كان عائقا للإنجاز الإنساني والسعادة الإنسانية وهو المسؤول عن تدمير حيوات لا عداد لها، خصوصا حيوات الشاذين من الرجال والنساء.

ويقوم النظام الأخلاقي الجديد على العقل المستنير وعلى احترام الجميع. وعندما كتبت الدولة النظام الأخلاقي المسيحي وأدخلته في القانون، فإنها بفعلها ذلك قننت التعصب. ولكن عندما نكتب نظامنا الأخلاقي وندخله في القانون، فإننا نقدم جبهات الحرية ونحمي حقوق الأقليات المضطهدة.

وتتبع للنظام الأخلاقي الجديد الذي يقدس الحرية الجنسية نتيجة لازمة منطقية وهي: بما أن الواقي الذكري والإجهاض ضروريان لمنع النتائج غير المرادة وغير المرغوبة للحب الحر -من الهربز إلى الإيدز إلى الحمل- فإن الواقي والإجهاض يجب أن يكونا متاحين لأي شخص ناشط جنسيا حتى الدرجة الخامسة إذا ما نشأت الحاجة.

وبموجب التعاليم الجديدة يمنع منعا صارما استخدام المدارس العامة لإشراب الأطفال بالمعتقدات اليهودية-النصرانية. ولكن يمكن وينبغي أن تستخدم المدارس العامة لإشراب الأطفال بتسامح نحو أساليب الحياة جميعها، وتقدير حرية الإنجاب، واحترام الثقافات

obeikandi.com

كلها، واستحسان التنوع المتصل بالأعراق، والأجناس والأديان. وفي المدارس الجديدة خرجت من العطلات الأيام المقدسة لأسبوع الفصح التي تحيي ذكرى آلام المسيح، والصلب، وقيامة المسيح. وصار يوم الأرض، الذي يتعلم فيه الأطفال أن يحبوا الأرض الأم، وأن يحافظوا عليها، وأن يحموها، هو يومنا لصوم يوم الغفران والتفكر، ولا يستثنى من يوم الأرض أي طفل. وكتب العالم المحافظ روبرت نسبت يقول إن البيئية هي "إلى حد كبير في طريقها إلى أن تكون الموجة الثالثة العظيمة من صراع الخلاص في التاريخ الغربي، بعد أن كانت المسيحية هي الموجة الأولى، وكانت الاشتراكية الحديثة هي الموجة الثانية."[٣]

إن الثورة الثقافية لا تدور حول خلق ميدان مستو للّعب لجميع العقائد، وإنما هي حول هيمنة أخلاقية جديدة. ففي نهاية الأمر أزيلت كل الأناجيل، والكتب، والرموز، والصور، والوصايا، والعطلات من المدارس العامة، وسوف تحول هذه المدارس إلى مراكز تعليم للدين الجديد. وفيما يلي يكتب جون دنفي بصراحة منشطة في العام ١٩٨٣ في ذا هيومنست حول الدور الجديد للمدارس العامة في أمريكا:

> المعركة على مستقبل الإنسانية يجب أن يقاتلها ويربحها المدرسون في الفصول الدراسية في المدارس العامة، والمدرسون ينظرون إلى

دورهم بشكل صحيح بصفتهم معتنقين حديثا لدين جديد، دين الإنسانية ... يجب على هؤلاء المدرسين أن يجسدوا تكريس الحياة المنكر للذات مثلما يفعل معظم الواعظين المتعصبين الأصوليين، لأن المدرسين سيكونون هم القسس من نوع آخر، يستخدمون الفصل الدراسي بدل منبر الوعظ في الكنيسة لتوصيل القيم الإنسانية في أي موضوع يعلمونه ... يجب أن يصبح الفصل الدراسي، وسيصبح الفصل الدراسي، ساحة الصراع بين القديم والجديد -بين الجثة الفاسدة للمسيحية، مع كل ما يجاورها من الشرور والبؤس، وبين الإيمان الجديد للإنسانية، وهو إيمان يزدهي بوعده العالم بأنه سوف يتحقق فيه في النهاية المثال المسيحي الذي لم يتحقق مطلقا وهو "أحبوا جيرانكم."

العلمانية الجديدة ليست إيمانا ضعيفا بلا نكهة.

في السياسة. الإيمان الجديد عولمي ومتشكك بالوطنية، وذلك لأن الحب المفرط للبلد يؤدي في الغالب جدا للشك بالجيران، ويؤدي بالتالي إلى الحرب. وتاريخ الأمم هو تاريخ الحروب، والإيمان الجديد ينوي الوصول إلى نهاية للأمم. إن المساندة المبذولة للأمم المتحدة، وللعون الخارجي، ولاتفاقيات منع الألغام الأرضية، ولإلغاء الأسلحة النووية، ولمعاقبة جرائم الحرب، وللمسامحة بديون الدول الفقيرة هي علامات الرجال التقدُميين والنساء التقدميات. وحيثما

تشكلت مؤسسة جديدة فوق قومية -منظمة التجارة العالمية، واتفاقية كايوتو لمنع احترار الأرض، والمحكمة الجنائية العالمية الجديدة في الأمم المتحدة - فسوف تساند هذه الثورة تحويل السلطة والسيادة من الأمم إلى المؤسسات الجديدة للحكومة العولمية.

في إحدى المرات دعا الشاعر شيللي Shelley الشعراء باسم "المشرعون للعالم غير المعترف بهم."[٤] في الأزمنة الحديثة حل كتّاب الأغنية محل الشعراء في وعي الشباب، وفي الستينيات من ١٩٦٠ كان البيتلز «الخنافس» هم أشهر المغنين، وكان جون لينون هو أمير الشعراء لذلك الجيل. وفي أغنيته "تخيل" يضع لينون، في مقطوعات قليلة من القصيدة، السماوات على الأرض التي تخيلها في النظام الديني في ما بعد المسيحية:

تخيل ألاّ وجود لعناية إلهيةٍ في السماوات
إنه سهل إذا حاولت
ولا جحيم تحتنا
فوقنا سماء فقط
تخيل أن كل الناس يعيشون لليوم.

❖ ❖ ❖

تخيل ألاّ وجود لأي بلاد

ليس صعبا أن تفعل
لا شيء لتَقتُل من أجله أو لتموت من أجله
ولا دين أيضا
تخيل أن كل الناس
يعيشون الحياة بسلام.[٥]

وذهب لينون، وهو الذي وصف نفسه بأنه "اشتراكي بالفطرة، " إلى أن يتخيل عالما "بدون ممتلكات" حيث يتقاسم فيه كل الناس كل شيء. ومع ذلك، فعند وفاته في سن الأربعين، عرف العالم أن لينون قد نجح وبكل برود أن يمتلك ما قيمته ٢٧٥ مليون دولار من الممتلكات، وهو ما يجعله واحدا من أغنى الناس على ظهر الأرض.[٦] وعلى الرغم من أن عالم خيال جون لينون وزميليه في البيتلز بول ماك كارتني وبوب ديلان كان عالما طوباويا، فإن ذلك لم يقلل من جاذبيته للشباب. وذلك لأن كتّاب الأغنية هؤلاء قدموا ديناً جديدا لاعتناقه والإيمان به، مع رؤيته الخاصة السعيدة للحياة هنا على الأرض، للحلول محل الإيمان المسيحي الذي انكمش في أرواحهم. وكما كتب ديفيد نيوبل مؤلف ميراث جون لينون يقول: إن الشاعر كاتب الأغنية عرف بدقة ما كان يسعى إليه. وفي بيان أدهش أمريكا أواسط الستينيات من ١٩٦٠ تنبأ لينون بأن "المسيحية سوف تذهب. وسوف تتلاشى وتتكمش. ولا احتاج إلى المحاجة حول

obeikandl.com

ذلك. فأنا على حق وسوف يثبت بالبرهان أني على حق. إننا أكثر شهرة الآن من المسيح."[٧]

"سرطان التاريخ الإنساني"

ولكن الدين يحتاج إلى شياطين كما يحتاج إلى ملائكة. وكثير مما يعلمه الإيمان الجديد ينبثق من كراهية لما ينظر إليه على أنه ماض مخجل شرير إجرامي. وبالنسبة إلى الثورة، فإن التاريخ الغربي هو مسرد مصور من الجرائم -العبودية، وإبادة الجنس، والاستعمار، والهيمنة الإمبريالية، والأعمال الوحشية والمجازر- ارتكبتها أمم كانت تدين بالمسيحية. وكتبت سوزان سونتاك، وهي أم الولادة للثورة، كتبت في ١٩٦٧ تقول "العرق الأبيض هو سرطان التاريخ الإنساني، والعرق الأبيض، وهو وحده فقط،... يمسح الحضارات ذاتية الحكم حيثما ينتشر."[٨]

أمريكا أنشئت على إبادة الجنس ... هذه بلاد عرقية بكل حماسة وانفعال... والحقيقة هي أن موزارت، وباسكال، والجبر البولياني(*)، وشكسبير، والحكومة البرلمانية، وكنائس الباروك، ونيوتن، وتحرير

(*) جورج بول (١٨١٥-١٨٦١). رياضي بريطاني وعالم منطق هو الذي طور تفاضلا وتكاملا للمنطق الرمزي. وينسب له الجبر البولياني الذي يستخدم في دوائر المنطق في علوم الحاسوب.

النساء، وكانط، وماركس، وباليه بالانشين(*) لن يفتدوا ما جلبته هذه الحضارة على وجه الخصوص من أضرار على العالم.[٩]

ومثل روباشوف(*) في ظلام في الظهيرة، وصل مثقفونا إلى قبول تهمة سونتاغ لحضارتهم وتطوعوا مجانا لمساعدة الإدعاء في إقامة دعواه. وإذا كان العديد من الأمريكيين يلتفتون إلى الخلف وينظرون إلى تاريخهم باشمئزاز فمن يستطيع أن يلومهم؟ وذلك، كما يكتب مايرون ماغنيت في الحلم والكابوس:

حرم جامعي بعد حرم اطّرح كتبا عظيمة ودورات لأفكار عظيمة عن الحضارة الغربية التقليدية بوصفها كتبا وأفكارا تقادم عهدها... وبرز مبدأ بديل يفترض أنه كافٍ للواقع الجديد: بول غودمان،(**) نورمان أو. براون،(***) هربرت ماركيوز،(****) فرانز فانون،

(*) جورج بالانشين (١٩٠٤-١٩٨٣) مدير ومخرج باليه أمريكي من أصل روسي. صار المدير الفني لباليه مدينة نيويورك. وأخرج أكثر من ١٠٠ باليه منها طائر النار (١٩٥٠) ودون كيشوت (١٩٦٥)

(**) نيقولاس روباشوف بطل رواية آرثر كوستلر ظلام في الظهيرة.

(***) بول غودمان (١٩١١-١٩٧٢) ناقد أدبي ومؤلف.

(****) نورمان أو. براون: (١٩١٣ - ٢٠٠٢) (فيلسوف وناقد، استفاد من نظريات أعضاء الستينيات من ١٩٦٠ في الثورة الثقافية المضادة من كتبه زمن الإغلاق، والحياة والموت.

(*****) هيربرت ماركيوز (١٨٩٨ - ١٩٧٩) واحد من كبار منظري مدرسة فرانكفورت. بعد دراسته في ألمانيا هاجر إلى الولايات المتحدة درّس في جامعة كولومبيا وهارفرد وبرانديس الفلسفة السياسية وكان يسارياً يصنف نفسه بأنه ماركسي اشتراكي هيغلي. أثر في حركة الطلاب وصار "أباً لليسار الجديد".

ميشيل فوكو، جيمس بالدوين، مالكولم إكس، حتى الأغاني العاطفية لبوب ديلان أزاحت في المدة الأخيرة جانباً أفلاطون ومونتين. وكانت الرسالة ذات العلاقة هي جور المجتمع الغربي، وكتم الرضا الفطري لأصحاب الامتياز والاستغلال الاستبدادي للفقراء وغير البيض في الوطن وفي العالم الثالث."[10]

ماذا كان رأي الروائي جيمس بالدوين في بلده عند نهاية حياته؟ كتب يقول: لا يوجد في التاريخ الأمريكي، "ولا يوجد الآن مؤسسة أمريكية واحدة ليست مؤسسة عرقية."[11] "وأضافت روبن ويست في نصها بعنوان الدستورية التقدمية تقول: "التاريخ السياسي للولايات المتحدة... هو في مقياس كبير تاريخ لوحشية، لا يمكن التفكير بها تقريبا، نحو العبيد، وكراهية تبيد العِرق للأمريكيين الأصليين، وتقليل القيمة عرقيا لغير البيض ولثقافات غير البيض، وتقليل القيمة جنسيا للمرأة ...."[12] ويقول جونثان كوللر، العالم بالتفكيكية، إن الإنجيل يجب أن يفهم "لا بصفته شعرا أو سردا نثريا ولكن بصفته نصا عِرقيا وجنسيا يؤثر تأثيرا قويا."[13] مثل هذه المشاعر لم تبق من النوادر، ولكنها صارت هي القاعدة أكثر فأكثر في التعليم العالي في الولايات المتحدة.

في العام ١٩٩٠ أعلنت جامعة تولين برنامجا جديدا، "مبادرات من أجل إثراء العِرق والجنسين في جامعة تولين." وشرح رئيس الجامعة إيمون كيللي الضرورة الملحة بقوله: "العِرقية والجنسية

منتشرتان في أمريكا وموجودتان بشكل أساسي في كل المؤسسات الأمريكية ... ونحن كلنا سلالة من أمريكا العرقية والجنسية."[١٤]
وفي تقرير حديث صدر عن الأوصياء في ولاية نيويورك بشأن إصلاح المنهج يبرز التقرير الحاجة إلى نظرة جديدة على التاريخ الأمريكي ويقول: "الأمريكيون الأفريقيون، والأمريكيون الآسيويون، والبورتوريكيون/ واللاتينيون، والأمريكيون الأصليون كانوا جميعا ضحايا ظلم ثقافي وتنميط ميز مؤسسات... العالم الأمريكي الأوروبي لقرون مضت."[١٥]

هذه هي الرسالة التي يتلقاها الأطفال في الكلية وفي في المدرسة الثانوية أيضا: الأوروبيون والأمريكيون مذنبون بإبادة الجنس ضد السكان المحليين من هذه القارة. وأجدادنا نقلوا ملايين من الأفارقة في سفن الموت إلى العالم الجديد، واسترقوهم ليقوموا بالأعمال الشاقة التي لم يكن يعملها أجدادنا، وهم أصابوا بالعجز وقتلوا الملايين من أولئك. وأمم أوروبا فرضت أنظمة عرقية على الشعوب الملونة، خصوصا في أفريقيا، ونهبت منهم ثرواتهم. والمسيحية تعايشت مع ذلك وتغاضت عن العبودية، والاستعمار، والعرقية، والجنسية طوال أربعمائة سنة.

ويتساءل الرجل المسن في قصيدة إليوت "جيرونشن" ويقول: "بعد مثل هذه المعلومات، أي تسامح؟"[١٦] وكتب ألن بلوم في إغلاق

عقل أمريكا يقول: "لقد اعتدنا نحن على أن نسمع عن الآباء المؤسسين وهم يتهمون بأنهم عرقيون، وقتلة الهنود، وممثلون لمصالح الطبقات، " وقال إن هذه الافتراءات "تضعف قناعاتنا في الحقيقة أو في تفوق المبادئ الأمريكية وتفوق أبطالنا."[١٧] وفي الحقيقة إنها تفعل هذا الفعل، لأن ذلك هو الغرض منها.

وأمام محكمة التاريخ، اتهمت أمريكا والغرب بتهمة نورمبرغ وهي "جرائم ضد الإنسانية." وفي كل الأوقات غالبا أيضا فإن المثقفين الغربيين، الذين ينبغي أن يقوموا بالدفاع عن أعظم حضارة وخير حضارة في التاريخ، يقومون بمساعدة الادعاء أو يدخلون في مرافعة فيها من حيث المبدأ إقرار بذنب المتهم. والعديدون جدا لا يستطيعون إلا أن يقدموا الدفاع المتلعثم عن "الألمان الطيبين" -"ولكننا لم نعرف."

في تحريك هذه التهمة، فإن للثورة غايات متممة: تعميق الإحساس بالذنب، ونزع السلاح الأخلاقي من الغرب وشله، وانتزاع اعتذارات لا نهاية لها وتعويضات لا نهاية لها إلى أن تتحول ثروة الغرب إلى متهميه. إنه ابتزاز أخلاقي بِنِسبٍ مَلْحَمِية، وهي سرقة الألفية. وإذا ما سمح الغرب لأعدائه بحصول ذلك فإننا نستحق أن نُنهب ويؤخذ ميراثنا.

لماذا يقف العديد من قادة الغرب عاجزين عن تفنيد التهم؟ لأنهم في قرارة قلوبهم، كلينتون، وجوسبان، وشرودر يعتقدون أن

التهم صحيحة، وأن الغرب مذنب. وإلا فلماذا يسافر السيد كلينتون إلى أفريقيا ليعتذر عن العبودية لأحفاد الزعماء القبليين الذين كانوا يأسرون العبيد ويبيعونهم؟ لقد وجدت العبودية، حتى قبل آركنساس. والغرب لم يخترع العبودية، الغرب أنهى العبودية.

في تعاليم الثورة، لماذا خلّد الغرب أكبر أهوال في التاريخ؟ لأن أمم الغرب اعتقدت أن حضارتها وثقافتها كانتا متفوقتين على الآخرين وأن لأمم الغرب الحق في أن تفرض حكمها على حضارات وثقافات وشعوب "أنقص؟." هذا هو جذر الشر كله، وهو الاعتقاد بأن ثقافة بعينها متفوقة وأعلى من أخرى، وهو الذي يقود إلى قتل الآخر. وهكذا فإن استئصال فكرة الثقافات المتفوقة والحضارات المتفوقة هو الطلب الأول في أعمال الثورة.

المساواة هي المبدأ الأول. ومن يخطئ ضد المساواة فهو خارج الكنيسة. وفي هذا النظام الديني الجديد لا دين أعلى تفوقا، ولا ثقافة أعلى تفوقا، ولا حضارة أعلى تفوقا من غيرها. الجميع متساوون. إن "التنوع"، والتمثيل في المجتمع لكل المعتقدات، والألوان، والثقافات في أمة متعددة الأعراق، ومتعددة الثقافات هو الذي ينبغي أن نطمح إليه، وهو الذي نصلي مخلصين، لنكون متوجهين إليه. ويتبع ذلك منطقيا أن أي مرشح يريد أن يحشد منطقة انتخابية حول فكرة أن الحضارة الغربية والثقافة الغربية متفوقتان وأن المسيحية هي

الإيمان الوحيد الصحيح، سيكون مبتدعا ونذيرا بخطر وشيك.

كم هو حاسم هذا الاعتقاد لمؤسستنا الثقافية الجديدة؟

في العام ١٩٩٤ جاءت الحرب الثقافية إلى ليك كاونتي، في فلوريدا، عندما صوت مجلس إدارة مدرسة بثلاثة أصوات ضد اثنين ليطلب أن يتعلم الأطفال أن تراث أمريكا وثقافتها كانا "متفوقين على الثقافات الأجنبية أو الثقافات التاريخية الأخرى." وقالت رئيسة مجلس الإدارة بات هارت، وهي تصف نفسها بأنها وطنية ومسيحية: لقد تم تبني الفكرة جوابا على السياسة التعليمية المتعددة الثقافات في فلوريدا. وقالت السيدة هارت: إنه لجميل للطلاب أن يتعلموا عن الأمم والثقافات الأخرى، ولكن يجب أن يتعلموا أن ثقافة أمريكا هي "المتفوقة بلا مراء."[١٨]

وذهل اتحاد المعلمين وسمى هذا الاقتراح مغالاة في التعصب والقومية والدعوة إلى الحرب. وقال كيث موللنز وهو من جماعة الشعب من أجل قيم التيار العام قال لصحيفة نيويورك تايمز: "إن الناس لا يفهمون الغرض والجدوى من هذا."[١٩]

هراء. فالجدل الملتهب الذي تلا ذلك بيّن أن الناس كانوا يعرفون بالضبط ماذا كان "الغرض والجدوى." وأوضحت ذلك بجلاء جودي بيرسون وهي عضو في مجلس إدارة المدرسة فقالت: "نحن نحتاج إلى إعادة فرض أننا يجب أن نُعلِّم أن أمريكا تأتي

أولا"[٢٠] وإلا، كما قالت السيدة بيرسون، فإن الشباب "إذا شعروا أن بلادهم أنقص أو مساوية للآخرين، فلن يكون لديهم الدافع الذي يحفزهم للذهاب إلى الحرب والدفاع عن مجتمعنا." [٢١]

أحد المنشقين اتهم الأكثرية في مجلس إدارة المدرسة "بتقويض نظامنا المدرسي."[٢٢] وقالت الأسوشييتد برس: "بعض المدرسين والآباء يقولون إن ما يجري تعليمه حقيقة هو التطرف في الرأي."[٢٣] وحذر المتحدث باسم جمعية مجالس إدارة المدارس الوطنية جي بتلر من أن " - "القيم" - في التعليم ... هي شيء نسمع المزيد عنه مع تصاعد الجناح الديني اليميني."[٢٤]

واتهم غيل بري، رئيس اتحاد المعلمين المحلي، مجلس الإدارة بخرق التعديل الأول وقال: " تريد الأغلبية في مجلس الإدارة أن تبدأ من استنتاج يقول - إن أمريكا متفوقة وأعلى من جميع الأمم الأخرى - ومن ثم تعمل عائدة للخلف من ذلك الاستنتاج ... تلك ليست تربية. ذلك تلقين عقائدي."[٢٥] ولكن أليس البدء من استنتاج يقول إن أمريكا هي ببساطة مساوية لجميع الأمم الأخرى "تلقيناً عقائدياً أيضاً؟"

في قلب هذا النزاع سؤال بايلت(*): ما هي الحقيقة؟" بالنسبة

(*) بونتيوس بايلت هو الحاكم الروماني في فلسطين الذي أمر بصلب السيد المسيح عليه السلام حسب العقيدة المسيحية.

للثورة فإن ليك كاونتي كانت تناقض الحقيقة، أي، كل الثقافات متساوية، ولا ثقافة متفوقة على غيرها. وبالزعم أن ثقافة أمريكا كانت متفوقة فإن مجلس إدارة السيدة هارت قد ارتكب كفرا مبتدعا. والثورة لا تستطيع أن تسمح بالتحدي السافر لعقيدة أساسية ينبغي أن تعلمها بصفتها حقيقة للأطفال في ليك كاونتي. وهكذا فقد ذهبت إلى محطات المعركة. في انتخابات الخريف، وبنسبة ضخمة للحضور من الناخبين، هُزِم جميع المساندين لسياسة "أمريكا أولا".

وقال السيد موللنز: "إن الشعب طرد المتطرفين."[٢٦]

وتكشف هذه الحادثة الصفة الحقيقية لثقافتنا الجديدة المهيمنة. وبشأن معتقداتها الأساسية فإنها غير متسامحة بعمق وهي لن تنصاع للتحدي أو التناقض. وأي شخص يُعلم الأطفال أن ثقافة أمريكا متفوقة فهو "متطرف" يعلم أكذوبة، وليس له عمل في المدارس العامة في أمريكا الجديدة.

بما أن المساواة هي مبدؤها الجوهري فإن الثورة الثقافية تعلم أن الأبطال الحقيقين للتاريخ ليسوا هم الفاتحين، والجنود، والسياسيين، الذين بنوا الأمم الغربية وأقاموا الإمبراطوريات العظيمة، بل هم الذين قدموا القضية العليا – وهي المساواة بين الشعوب. وهكذا فإن نهاية العزل في الجنوب ونهاية التمييز

العنصري في أفريقيا الجنوبية هما نصران أعظم من هزيمة الشيوعية، ومانديلا وغاندي هما البطلان الأخلاقيان الحقيقيان للقرن العشرين. وبهذا يقف مارتن لوثر كنج بالقامة الطولى في البانثيون الأمريكي، وأي ولاية ترفض تخصيص يوم عطلة للاحتفال بميلاده يجب أن تقاطع. وبالنسبة إلى جورج واشنطون، فإذا حذف اسمه من المدارس، فليكن ذلك. ألم يكن مالكا للعبيد؟ ألم يساهم في أعظم انتهاك صارخ ارتكبته أمريكا للمساواة الإنسانية؟

وبما أن المساواة هي مبدأ أول، فإن ديمقراطية الشخص الواحد، والصوت الواحد هي أعلى أشكال الحكومة، وهي الشكل الشرعي الحقيقي الوحيد. إنها وحدها التي يمكن أن تفرض بالقوة، مثلما فرضت على ألمانيا واليابان، وكان ينبغي أن تفرض على العراق. التدخل العسكري من أجل المصالح القومية هو فعل أناني وخسيس، ولكن التدخل الأخلاقي الذي يريق الدماء في سبيل قضية الديمقراطية، كما في الصومال، وهاييتي، والبلقان -فلا شيء أنقى وأطهر منه.

وبهذا المعيار تحكم الثورة على أخلاقية حروب أمريكا. فحرب ١٨١٢، والحرب المكسيكية -الأمريكية، والحروب الهندية، والحرب الأسبانية -الأمريكية قد تكون أمنت قارة بتكلفة قليلة من الأرواح، ولكن هذه الحروب وللأبد ملطخة بروح أمريكا الإلحاقية الشوفينية

التي خاضت هذه الحروب. وعلى الرغم من أن الحرب الكورية وحرب فيتنام تم خوضهما من أجل إنقاذ الأمم الصغيرة من الشيوعية الآسيوية القاتلة فإنهما كانتا حربين غير حكيمتين وغير عادلتين. وذلك لأننا كنا متحالفين مع أنظمة فاسدة وقاتلنا من أجل الحفاظ على هذه البلاد في معسكرنا في الحرب الباردة التي لم يكن لها مطلقا الوضوح الذي كان للحرب ضد الفاشية.

ومساندة الرئيس نيكسون للجنرال بينوشيه لإطاحة الحاكم الكاستروي سلفادور أللندي في تشيلي كانت إساءة بالغة. ومثلها أيضا كانت مساعدة رونالد ريجان للكونترا في نيكاراجوا الذين كانوا يقاتلون لإعادة السيطرة على بلادهم من الساندنستا الموالين للسوفيت. وأما بالنسبة لغزو ريجان لغرينادا لإنقاذ تلك الجزيرة الصغيرة من عصابات ستالينية قتلت حاكمها الماركسي، موريس بيشوب - فقد كان ذلك اعتداء أمريكيا. أما غزو كلينتون لهايتي لاستعادة السلطة للقس الماركسي الذي نزعت منه صلاحياته، وهو الأب أرستيد - فذلك كان تدخلا بالنيابة عن الديمقراطية وهو مبرر تبريرا كاملا.

وطالما أنها "حرب جيدة، " فالغاية تبرر الوسائل في كتاب تعاليم دين الثورة. أن يكون السيد لنكولن قد جعل من نفسه مستبدا مطلقا، وأن يدوس على الدستور، وأن يسجن المنشقين بدون

محاكمة، وأن يطلق الجنرال شيرمان والجنرال شريدان ليحرقا الجنوب الرماد فهذا كان طيبا. واستئصال الرق برر الوسائل المستخدمة حتى ولو عانى المواطنون الأمريكيون معاناة فظيعة. وأما بالنسبة "الجيدة" في الحرب العالمية الثانية، فإن تحالفنا مع ستالين القاتل قتلا جماعيا، وقصفَ المدن بالقنابل مثل ناغازاكي وقتل عشرات الآلاف من النساء والأطفال في ساعات، فقد كانت حربا مقبولة، لأن قلوبنا كانت نقية ولأن عدونا كان شرا.

لقد أدين ريتشارد نيكسون من أجل "القصف القاتل بالقنابل" لهانوي لتحرير أسرى الحرب الأمريكيين، ويقال إن ذلك القصف لشمال فيتنام قتل ألفاً وتسعمائة نسمة طوال ثلاثة عشر يوما. ومع ذلك، فإن هاري ترومان هو إلى الأبد بطل ولو أنه كان قد أمر بقصف ذري لهيروشيما وناغازاكي، فقتل ١٤٠,٠٠٠ مائة وأربعين ألف مدني، وأعاد مليوني أسير حرب روسي ليعذبوا ويقتلوا بيد ستالين في عملية كيلهول.

بالنسبة إلى الثورة الثقافية فالعدو دائما في اليمين، والثورة لا تغفر ولا تنسى. قارن المطاردة التي لا تعرف الرحمة للجنرال بينوشيه حتى قبره، وهو المستبد الذي سحق الكاستروية في تشيلي، قارنها بالتعابير عن الحزن عند موت شركاء ماو في القتل، وهما تشو إن لاي ودنغ اكسياوبنغ.

بايرون دو لا بكويذ المتهم باغتيال قائد الجميعة الوطنية لتقدم الملونين مدغار إيفرز في الميسيسيبي في العام ١٩٦٣ يحاكم، ثم تعاد محاكمته، ثم يحاكم للمرة الثالثة بعد ثلاثين عاما، ويموت في السجن، حسب ما تأمر به الثورة، في حين أن الثورة تلتمس الرحمة من أجل ليونارد بلتير الذي قتل عميلين مجروحين من أف بي آي. بعد تبادل إطلاق النار في العام ١٩٧٥ في محمية باين ريدج. وآخر أيقونة ثقافية هو موميا أبو جمال الذي ينتظر دوره في الموت لأنه قتل شرطيا في فيلادلفيا في العام ١٩٨١ بتفريغ مسدسه في الضابط المجروح الذي كان ملقى ينزف. وقد حث مائة مؤرخ أكاديمي بأن موميا يجب أن يعطى محاكمة جديدة وأن قتله لذلك الشرطي يجب أن "ينظر إليه في ضوء التاريخ."[٢٧] وبما أن بلتير هندي وموميا أسود فهما مؤهلان ليكونا عضوين من طبقةٍ ضحية. أما عميلان ميتان من أف بي آي وشرطي ميت - ثلاثة رجال بيض - فلا.

المساواة التي تنادي بها الثورة هي إفساد لفكرة جفرسون التي تقول "كل الناس خلقوا متساوين." والذي عناه جيفرسون هو أن الجميع قد وهبهم خالقهم الحق نفسه في الحياة، والحرية، والتملك، وأن الجميع يجب أن يكونوا متساوين تحت حكم القانون. وقد رفض مذهب المساواة. وكما كتب إلى جون آدمز في العام ١٨١٣ يقول: "أنا أوافق معك أن هناك أرستقراطية طبيعية بين الناس. والأساس في هذا هو الفضيلة والموهبة."[٢٨]

فـإذا مـا قـيس الناس بالفـضـائل والمواهب فـإن من الأصح أن يقـال إنه "مـا من إنسـانين خلقـا مـتـسـاويين مطلقـا." إن مـا تـعنيـه أمـريكا ليس هو المساواة في الشـرط أو المساواة فـي النتيـجة بل هو الحـرية، وهكذا فإن "أرسـتـقـراطيـة طبـيـعـيـة" من المقـدرة، والإنجـاز، والفـضيلة، والامـتـيـاز - من الرياضـة إلى الفنون إلى الأكـاديميـة - تستطيع أن ترتفع لتقود، ولتلهم، ولتضع نموذجا لنا جميعا لنحتذيه وعلامة لنا جميعا لنهدف إليها. إن التراتبيات طبيعية بقدر ما هي جوهرية. أنظر إلى المؤسسات الأمريكية القائمة على التميز، من مايكروسوفت إلى يانكي نيويورك، ومن سلاح البحرية الأمريكي إلى مايو كلينك. كم عدد التي تدار منها على مبدأ شخص واحد وصوت واحد؟

وكما يبين التاريخ فكل الشعوب، والثقافات، والحضارات ليست متساوية. بعضها أنجز العظمة مرارا، وآخرون لم ينجزوا قطعيا. جـمـيع أسـاليب الحـيـاة ليـست مـتـسـاوية. جـمـيع الأديان لـيـست متـساوية. جـميع الأفكار ليـست مـتـساوية. وفي الحـقـيـقـة، ما هو الاستشهاد الحقيقي إن لم يكن أكثر الشهادات جميعا بلاغة وإلزاما وهي أن جميع الأفكار ليست متساوية.

وفي الـوقت الذي تملك فـيـه كل الأفـكار الحق فـي أن تـسـمع، فليس هناك من فكرة تملك الحق التلقـائي في أن تحـتـرم. ويطلب

منا التعديل الأول للدستور أن نتسامح مع الكاذب مثلما نتسامح مع الصحيح، ومع الأحمق مثل الحكيم، ولكن الأمم والمجتمعات تتقدم بفصل القمح عن التبن، وبنبذ التبن. إن فكرة الثورة عن المساواة فكرة أيديولوجية وطوباوية، وغير عقلانية وهي في نهاية المطاف فكرة مدمرة. إن مجتمعا تائها منفلتا فقط هو الذي يمنح مكافأة مغاوير القبعات السوداء الذين تطوعوا لمواجهة أخطر المخاطر والذين دخلوا في أشق التدريب، لكل كاتب أو طباخ أو غاسل قوارير في الجيش. ألم يكن هو اللورد أكتون الذي قال إذا ماتت الديمقراطية فالمساواة دائما هي التي تقتلها؟

الشكل القليل القيمة من المساواة يرجع في أبوته إلى الثورة الفرنسية وليس إلى الثورة الأمريكية، يرجع إلى اشتراكيي القرن التاسع عشر، وليس إلى الوطنيين الأمريكيين في القرن الثامن عشر. وفي الحقيقة، بما أن الناس جميعا يتحلون على نحو مختلف بالمواهب، والقدرات، والفضائل، فإن الطريقة الوحيدة لتحقيق المساواة في النتيجة هي الاستبداد. وذلك ليس أمريكا. وإن أولئك الذين يراجعون اختبارات الملكات المدرسية مراجعات متكررة لا تنتهي، ولأن النتائج تصطدم مع تصوراتهم المسبقة، فإنهم عندئذ يعطون نقاطا إضافية للطلاب بناء على الأجناس التي ينتمون إليها، ثم يرمون هذه الاختبارات لأنها ما تزال لا تنتج النتائج المرغوبة،

هؤلاء الذين يفعلون ذلك، هم دعاة عقائديون ميئوس منهم ولن تبقى أفكارهم الكاذبة عن الطبيعة البشرية على قيد الحياة بعد اصطدامها الأول بالواقع الحقيقي.

إن المساواة التي تدعو الثورة إليها وتعلمها يمكن أن توجد في النتائج النهائية في "سباق المؤتمر" في مغامرات أليس في بلاد العجائب. وبعد أن ركض المشاركون جميعهم في دوائر لمدة نصف ساعة سألوا: "ولكن من الذي فاز؟"

وقال طائر الدودو: "كل واحد منكم فاز والجميع سينالون جوائزَ."[٢٩]

إن مجرد التسامح، كما قال جي. كي. تشسترتون هو "فضيلة الرجال الذين ما بقوا يؤمنون بأي شيء." ولكن إيماننا الجديد متسامح فقط بشأن ما يعتبره تافها: الجنس، والكتابات العارية، واللغة القذرة، والسلوكيات الفظة، والملابس غير المهندمة، والفن الفاحش. وليس لدى هذا الإيمان أي تسامح نحو الذين يتحدون عقائده العلمانية.

في هذا النظام الديني الجديد تستطيع أن تصنع فيلما سينمائيا يصور يسوع المسيح بصفته شخصا ضعيفا شبقا يشتهي ويلاحق مريم المجدلانية، كما هو في فيلم الإغراء الأخير للمسيح.

ولكن اقترح علاقة بين الوراثة والذكاء، مثلما فعل تشارلز مراي في منحنى الجرس فسوف تعلم عندئذ ماذا يعني أن تعبر وتجتاز الثورة. يمكن لصيدلي محلي أن يبيع الواقي الذكري لمن هم في الثلاثة عشر من العمر، ولكنك إذا بعت سجائر للأطفال أنفسهم فسوف تتعرض للمقاضاة بحجة تعريض صحتهم للخطر وتعريض أخلاقهم للمهالك. والكتب التي تزعم أن "الله ميت،" أو أن القديس بطرس كان لوطيا، أو أن العزوبية مُقعِدة، أو أن البابا بيوس الثاني عشر كان "بابا هتلر"، هي كتب سوف تجتذب مراجعات حارة من أجل "الجرأة" "والإبداع" "والاستخفاف بالمقدسات." ولكن ازلقْ بلسانك واستخدم مذمة عرقية، كما فعل السناتور بايرد، أو تفوه بكلمة نابية عن اللوطيين، كما فعل النائب ديك آرمي كما هو مشهور في استعماله الخاطئ لكلمات متشابهة في "بارني فاغ"(*) وسوف لن تهرب من عمود الضرب بالسياط.

في القرن التاسع عشر كان الكفر جريمة في العديد من الولايات. واليوم يقبل الكفر، والسوقية، والفحش حتى في ساعات البث الرئيسية، ولكن الفكاهة العرقية تعتبر "خطاب بغضاء" يجب

(*) النائب ديك آرمي جمهوري، في مؤتمر صحفي نطق اسم نائب آخر هو بارني فرانك (Barney Frank) بشكل (Barney Fag) وكلمة Fag كلمة تحقير للشواذ وادعى آرمي أنها كانت زلة لسان!!

أن يعاقب عليه بشدة. يقول الدارويني ديفيد دينت نستطيع أن "ننقذ المعمدانين"، ولكن "ليس إذا ما كان هذا يعني التسامح بتعمد إعطاء معلومات غير صحيحة للأطفال عن العالم الطبيعي." ويحذر دينّت القائلين بالخلق بقوله: "أنتم أحرار في أن تحتفظوا بأي معتقد ديني أو أن تخلقوا أي معتقد ديني ترغبون به طالما أن ذلك لا يصبح مصدر إزعاج عام ... وأولئك الذين لا يتكيفون، الذين لن يكونوا معتدلين، والذين يصرون على المحافظة فقط على أنقى سلالة وأكثرها توحشا من تراثهم لتبقى حية، فإننا سنكون ملزمين، وبتردد، على أن نحبسهم أو ننزع سلاحهم."[٣٠]

هذه هي الروح العسكرية للتعاليم الحداثية.

جرائم البغضاء

هذا الاعتقاد الجديد، مثل أي دين، يملك قائمته الخاصة من الجرائم الأخلاقية. وأبغض هذه الجرائم هي "جرائم البغضاء، " وهي هجمات تدفع إليها البغضاء الموجهة نحو لون الضحية أو معتقده أو أصله القومي أو توجهه الجنسي.

والآن، من الواضح، أن جريمتي قتل جيمس بايرد وماثيو شيبارد كانتا عملين يتسمان بالجبن ويستحقان الاحتقار وكانتا جريمتين تستحقان العقوبة القصوى. ولكن لماذا جُعلت هاتان

الجريمتان، من بين خمسة عشر ألف جريمة اقترفت كل عام، لماذا جُعلتا سببا لاستنكار خاص من نُخبنا السياسية والثقافية؟ فبعد كل شيء، كان القتلة من النكرات. وفي حالة بايرد، كانوا مذنبين سابقين ضالعين بالمخدرات على نحو عالٍ، وفي حال شيبارد كانوا مجرمين، ولا قيمة لهم.

وحقيقة كان قتل بايرد، وقد رُبط إلى سيارة شاحنة جرته حتى مات، كان قتلا فظيعا بشكل خاص، ولكن ذلك لا يؤهل هذا القتل ليكون جريمة بغضاء. لقد كان جريمة بغضاء لأن بايرد كان أسود وقد اختاره قتلته لأنه كان أسود. لقد ضُرب شيبارد حتى فقد وعيه ورُبط بسلسلة إلى سياج في ريف متجمد بعد أن أبدى بعض التوددات الجنسية لواحد من المجرمَين اللذين قررا عندئذ أن يسلباه ويقتلاه. لقد كان قتل شيبارد جريمة بغضاء لأن شيبارد كان لوطيا ولأن قاتليه كانا من البيض الأسوياء، استشاطا غضبا عندما تعرض أحدهما إلى توددات جنسية. لو أن شيبارد كان قد قُتل بالطريقة الوحشية نفسها بأيدي عشاق سابقين له لما كان قتله مؤهلا ليكون جريمة بغضاء، ولا كان موته قد وصل إلى النظر الرئاسي.

كلنا لنا انحيازاتنا، ولذلك دعوا المؤلف هنا يقر بانحيازاته. لو أن قاتلي ماثيو شيبارد اختارا فتاة بعمر السادسة عشرة ولم يختارا

شابا شاذا بعمر الحادية والعشرين، لكانت جريمة اغتصابها وقتلها بالنسبة لي شراً أكبر من جريمة قتل الشاب. ولكن القاتلين في كلتا الحالتين ينبغي أن يقاسيا العقوبة نفسها. ولو كان قاتلا جيمس بايرد أسودين، أو لو كان بايرد أبيض، لكان موته جراً شكل فظاعة شريرة مساوية وتبرر العقوبة نفسها.

لماذا اختير هذان المجرمان القاسيان من الرئيس ومن الصحافة؟ اختيرا لأنهما يناسبان الصورة بشكل كامل. ففي تعاليم الثورة، تكون أسوأ الجرائم هي جريمة قتل اللواطين لأنهم شاذين، وجريمة قتل السود لأنهم سود، وهي جرائم أسوأ حتى من اغتصاب طفلة وقتلها. كيف نعرف؟

بعد أقل من عام من مقتل شيبارد، اتهم رجلان من أركانساس بقتل جس درخسنغ البالغ من العمر ثلاثة عشر عاما. وفيما يلي التفاصيل، كما روتها اسوشييتدبرس:

> وفقا لما تقوله الشرطة، فإن ديفيز كاربنتر الأصغر، ٣٨ عاما، وجوشوا براون، ٢٢ عاما، خدرا وعصبا عيني جس درخسنغ وسدا فمه بملابس داخلية، وربطاه إلى فرشة ووجهه للأسفل وثبتاه بلاصق الأنابيب وبالأحزمة. ثم اغتصب الصبي مرارا، ولِيط بأجسام متنوعة قبل أن يختنق بسبب الوضع الذي كان قد وضع فيه كما قال المحققون...

ومع ذلك فإن جريمة القتل والتعذيب والاغتصاب هذه لم تصل تقريباً إلى الصحافة القومية. لماذا؟ لأن هذه الجريمة كانت "جريمة جنس، " ولم تكن "جريمة بغضاء"، ولأن إظهار اللواطيين وهم يقومون بأفعال سادية بربرية لا يناسب نص كتاب الشرير - الضحية لدى نخبتنا الثقافية. وإن إبراز وحشية كاربنتر وبراون كان سيؤدي الى نكسة للقضية. وقد كتب برنت بوزل الناقد في وسائل الإعلام:

> لو أن جس ديرخسنغ قد رمي بالرصاص داخل مدرسته في أركنساس لصار قصة قومية فورية. ولو أنه كان شاذا بشكل علني وكان مهاجماه أسوياء لأدت الجريمة إلى توجيه كل شبكات الأخبار. ولكن ما من منفذ ليبرالي من وسائل الإعلام يجرؤ أن يكون الأول في قص حكاية جريمة فظيعة يكون الشريران فيها رجلين شاذين[٣٢]

وعندما عقدت محكمة براون كانت صحيفة واشنطون تايمز هي الوحيدة تقريبا من بين الصحف القومية التي روت تقارير الإجراءات. وقد كتب أندرو سولليفان وهو لوطي وكاتب عمود في جريدة نيو ريبابلك، كتب يقول: " إن التباين [في التغطية القومية لجريمتي شيبارد ودرخسينغ] ليست حقيقة وحسب، إنه تباين مذهل."[٣٣] لقد وجد سولليفان ثلاثة آلاف قصة عن جريمة شيبارد في بحث له في قاعدة بيانات نكسس NEXIS في الشهر الأول بعد

القتل، ولكنه وجد ستة وأربعين قصة فقط عن ذبح جس درخسينغ. وكانت شبكة فوكس نيوز هي الشبكة الوحيدة التي روت محاكمة جريمة براون والحكم عليه. ووسائل الإعلام الكبيرة تحولت إلى ذراع اتصال للثورة .

في الحال بعد جَرِّ بايرد جرا مميتا، مات جيك روبيل البالغ من العمر ستة أعوام بالطريقة المرعبة ذاتها. فعندما ذهبت أم الطفل كريستي إلى مطعم سفري للشطائر في انديبندنس، ميسوري، تركت طفلها جيك محزوما في حزام مقعده في الخلف من سيارتها من نوع شيفي بليزر . وتركت كريستي المفاتيح على السيارة. وكان كيم ديفيز، وهو في الرابعة والثلاثين، وقد خرج لتوه من السجن، كان يراقبها وهي تخرج إلى مطعم الشطائر وقفز إلى مقعد السائق. فركضت كريستي روبيل لتنقذ ولدها، وفتحت الباب الخلفي للسيارة لتجره إليها. ودفع ديفيز بالطفل إلى الخارج وهو لا يزال مربوطا إلى حزام المقعد . صرخت كريستي روبيل صراخا هستيريا عليه ليقف. نظر ديفيز إلى المقعد الخلفي، ثم إلى مرآة المنظر الخلفي للسيارة، واندفع مسرعا، وهو يجر الطفل لمسافة خمسة أميال حتى أوقفته شرطة الدراجات النارية الذين رأوا جثة الطفل وهي مجرورة على طول الشارع الرئيسي. لماذا لم تنل هذه الجريمة انتباها قوميا؟ لأن الطفل جيك روبيل كان أبيض وديفيز

كان اسود. إن جرائم البغضاء هي طريقة النخبة الثقافية لتصوير الرجال البيض تصويرا عرقيا .

قبل عشرة أيام من عيد الميلاد في عام ٢٠٠٠ اقترفت فظاعة أكثر شرا مما فعل بماثيو شيبارد أو جيمس بايرد وذلك في وتشيتا.

كان خمسة من الشبان والشابات، ثلاثة شبان وشابتان، في حفلة عندما اقتحم عليهم بيتهم أخوان، وأحدهما في الثالثة والعشرين والآخر في العشرين من عمره. وُضع الخمسة في سيارة، واقتيدوا إلى آلة صرف آلية، وأجبروا على سحب نقودهم، ثم أخذوا إلى ملعب كرة قدم . الشابتان أجبرتا على التعري واغتصبتا. ثم أجبر الضحايا على ممارسة الجنس مع بعضهم البعض تحت فوهة السلاح. ثم أجبر الجميع على أن يركعوا، ثم أطلق الرصاص على كل واحد منهم في رأسه. مات ثلاثة شباب وشابة واحدة. أما الشابة الأخرى فتركت ملقاة على أنها ميتة، ولكنها ركضت وهي تنزف عارية مسافة ميل في البرد لتجد مساعدة، أما الأخوان فرجعا بسيارتهما لنهب البيت.

هيذر موللر، البالغة من العمر خمسة وعشرين عاما كانت تُذكر من أجل صوتها الغنائي. وآرون ساندر كان قد عاد لتوه من كلية جبل سانت ماري وكلية تخريج القساوسة في إمّيتزبيرغ، في ميريلاند، لأنه كان قد قرر أن يكون قسيسا. وكان برادلي هيرمان

البالغ من العمر سبعة وعشرين عاماً صديقا لآرون. وجاسون بيفورت، البالغ من العمر السادسة والعشرين، كان أستاذ علوم ومدربا في أوغاستا هاي. وكان قد خطط أن يتقدم بالخطبة إلى المرأة التي بقيت حية وكان قد أحضر خاتما وكتابا عن كيفية عمل ذلك. ويكتب فرانك موريس في ذا وندرر: " لم يحظ جاسون بالفرصة ليتقدم بالخطبة أو يعطيها الخاتم، ولم تكن الكنيسة الكاثوليكية في بلدته برات كبيرة بما يكفي لجنازته، ولذلك فقد نُقلت إلى كنيسة بروتستانتية أكبر."[٣٤] وفي الدقائق التي سبقت موت جاسون بيفورت أُجبر ذاك الرجل على أن يراقب المرأة التي أمل أن يتزوجها وهي تغتصب.

ولكن ما لم يذكره موريس هو أن جميع الضحايا كانوا بيضا وأن القتلة كانوا سودا. لو أن أعراق الطرفين قد قُلبت لكانت تلك جريمة بغضاء للعقد كله. ومع ذلك فإن هذه الفظاعة لم تصنع أبدا بروكاو، ولم تصنع أبدا ريذر، ولم تصنع أبدا جينينغز، ولم تصنع أبدا الصفحة رقم واحد في الصحافة القومية. لماذا لم تفعل؟ يكتب كاتب العمود والمؤلف ديفد هوروويتز فيقول: " القصة لم تناسب الميلودراما القومية الصحيحة سياسيا التي تحكي عن الضحية الأسود والجور الأبيض."[٣٥]

يبدو أن لدى السيد هورووينز نقطة حرية بالاهتمام. فوفقا

لدليل المؤشرات الثقافية الرئيسية للعام ١٩٩٩ فإن الأمريكيين الأفارقة، وعلى الرغم من أنهم نسبة (١٣٪) ثلاثة عشر بالمائة فقط من سكاننا، مسؤولون عن نسبة (٤٢٪) اثنين وأربعين بالمائة من جرائم العنف كلها، وعن أكثر من نسبة نصف جرائم القتل في الولايات المتحدة.[٣٦] وتبين الإحصاءات الخاصة بالجرائم بين الأعراق نمطا من التحامل أكثر استثارة للصدمة مما تقدم.

في العام ١٩٩٠، غضب البروفيسور وليام ولبانكس من قسم العدالة الجنائية في الجامعة العالمية في فلوريدا بسبب حملة سعت إلى تقليل الجرائم المرتكبة من السود بحق السود، لأن الحملة كما يبدو عاملت الهجمات الواقعة على البيض بوصفها أقل أهمية في استحقاقها للاستنكار. وبعد دراسة معمقة لأرقام ضحايا الجريمة المستمدة من وزارة العدل في العام ١٩٨٧ اكتشف ولبانكس ما يلي وقدم تقريرا وفقا لذلك:

- في العام ١٩٨٧، اختار المجرمون البيض ضحايا سودا بنسبة (٣٪) ثلاثة بالمائة من جرائم العنف، بينما اختار المجرمون السود ضحايا بيضا بنسبة (١٥٪) خمسة عشرة بالمائة من الفترة الزمنية.
- عندما كانت الجريمة اغتصابا، اختار المجرمون البيض نساء سودا بنسبة صفر بالمائة من هجماتهم، بينما اختار المجرمون

السود نساء بيضا بنسبة (٢٨٪) ثمانية وعشرين بالمائة في هجماتهم. ومن أصل ثلاثة وثمانين ألف حالة اغتصاب لم يستطع ويلبانكس أن يجد أي مغتصب أبيض لضحية سوداء.

❖ اختار المجرمون البيض ضحايا من السود بنسبة (٢٪) اثنين بالمائة من عمليات السلب والنهب، ولكن المجرمين السود اختاروا ضحايا من البيض بنسبة (٧٣٪) ثلاثة وسبعين بالمائة من أعمالهم في السلب والنهب.[٣٧]

وعندما نشر البروفسور ولبانكس لأول مره أرقامه المذهلة والمحزنة لم يظهر أي تفنيد لها ولا تحدٍ ولا مناقضة، بل ساد الصمت بكل بساطة. وبعد عشر سنوات، في العام ١٩٩٩، نشرت الواشنطون تايمز النتائج التي وجدتها في دراسة عن الجريمة بين الأعراق قامت بها مؤسسة القرن الجديد، واعتمدت على إحصاءات وزارة العدل في ١٩٩٤، وهذه النتائج التي وجدتها دراسة مؤسسة القرن الجديد دعمت النتائج التي وجدها ويلبانكس.

❖ اقترف السود نسبة (٩٠٪) تسعين بالمائة من جرائم العنف بين الأعراق في العام ١٩٩٤.

❖ ولأن السود يشكلون نسبة (١٢٪) اثني عشر بالمائة من السكان، فإن هذه الأرقام تعني أن احتمال ارتكاب السود لأعمال العنف بين

الأعراق يفوق احتمال ارتكاب البيض لها بخمسة عشر ضعفا.

❖ وكان احتمال قيام السود بأعمال عصابات اغتصاب بين الأعراق، وهجمات عصابات، يفوق احتمال قيام البيض بذلك بنسبة ١٠٠ إلى ٢٥٠ مرة.

❖ حتى في الجرائم من نوع "جرائم البغضاء " ـ وهي أقل بنسبة ١٪ واحد بالمائة من الجرائم بين الأعراق ـ فإن احتمال أن يكون السود هم المهاجمون هو أكبر بمرتين من احتمال أن يكونوا هم الضحية.[٣٨]

ووجدت دراسة مؤسسة القرن الجديد أن الأمريكيين من أصل آسيوي هم أقل الجماعات عنفا، وهي تقترف جرائم العنف بمعدل يصل إلى نصف المعدل فقط مما يقترفه الأمريكيون البيض.

وهذه الأرقام يجب أن تبعث إحساسا عميقا بالخذلان في قلوب عشرات الملايين من الأمريكيين الأفارقة المحترمين. ومع ذلك فالأرقام تكشف مبدأ مركزيا للثورة الثقافية بصفته كذبة كبيرة وهو: الافتراء الحقود الذي يقول بأن أمريكا هي أمة يكون فيها الشعب الأسود باستمرار عرضة للخطر من الأكثرية . وواقع الأمر هو أن معدلات الجرائم في مجتمعات الأقلية في أمريكا هي العليا، وأن الجرائم بين الأعراق تأتي من هذه المجتمعات. إننا لا نحل أي شيء عن طريق خداع الذات.

والأمر نفسه على ما هو واضح ما يزال صحيحا بالنسبة لإنجلترا. فقد وجد دوني ودز وهو كاتب عمود، بعد تحليل الأرقام الخاصة بالجريمة بين الأعراق والمدفونة في وزارة الداخلية، وجد في "الإحصاءات عن العرق ونظام العدالة الجنائي أن من بين الجرائم التي اقترفت في العام ١٩٩٥ وكانت "بدوافع عرقية" هناك مائة وثلاثة وأربعين ألف (١٤٣٠٠٠) جريمة اقترفت ضد أقليات، وأن مائتين وثمانية وثلاثين ألف (٢٣٨٠٠٠) جريمة اقترفت ضد ضحايا بيض" وكانت النتيجة التي وصل إليها ودز:

> إذا كانت الأقليات العرقية تشكل نسبة (٦٪) ستة بالمائة من السكان في المملكة المتحدة، وهم يقترفون (٢٣٨,٠٠٠) مائتين وثمانية وثلاثين ألف هجوم في العام، وكان السكان البيض الذين يشكلون نسبة أربعة وتسعين (٩٤٪) من السكان وهم يقترفون مائة وثلاثة وأربعين ألف هجوم عرقي في العام، فإنه سيكون واضحا على أساس عدد السكان، أن الأقليات العرقية تقترف ما يصل إلى خمسة وعشرين (٢٥) ضعفا من الهجمات العرقية أكثر مما يقترفه السكان البيض.[٣٩]

يرأس جاريد تيلر صندوق القرن الجديد، وتيلر هذا هو مؤلف كتاب: مُعبّد بالنوايا الطيبة: فشل العلاقات العرقية في أمريكا المعاصرة، وهو أيضا شخصية جدلية في الجدل القائم حول الجريمة والعرق. ولكن إحصاءات صندوق القرن الجديد مستندة إلى أرقام

وزارة العدل وتقتفي اقتفاء قريبا أثر النتائج التي وجدها ولبانكس ووجدها وودز. وهذه النتائج أيضا لم يتم تحديها وهي مهملة تقريبا.

وعندما طلبت واشنطون تايمز من مورغان رينولدز، وهو مدير مركز العدل الجنائي في المركز القومي لتحليل السياسة في دالاس، أن يعقب على دراسة صندوق القرن الجديد عن الجريمة بين الأعراق، رفع مورغان رينولدز كتفيه بلامبالاة وقال: "إنها مسألة يهملها معظم العلماء البيض، لأنك لا تستطيع إلا أن تدخل في المتاعب فقط ... وإنها ليست أخبارا جديدة لأي شخص تابع الاختلافات في العرق وفي الجريمة، ولكنها من الناحية السياسية غير صحيحة."[٤٠] وقد تطوع عالم الجريمة جيمس كيو ويلسون بالقول إن النواحي العرقية للجريمة "حساسة جدا" وهي أكثر حساسية من أن تناقش علنا.[٤١] ولكن إذا كان هذا صحيحا، فلماذا نمتلك تشريعات مسنونة لجرائم البغضاء مطلقا؟

الجريمة هي الجريمة، وينبغي أن تعاقب مقترفها بغض النظر عن معتقده أو لونه. ويجب أن تكون العدالة مصابة بعمى الألوان . ولكن هذه الحملة لترميز وتصنيف جرائم معينة بصفتها " جرائم بغضاء" ليس لها أي علاقة بالعدالة ولها كل علاقة مع الأيديولوجية. إن نخبتنا الثقافية تريد الأمريكيين أن يروا بلدهم كما تفعل تلك النخبة - أي بوصفها بلادا عرقية بحاجة إلى خلاص، وفيها يكون

الذكور البيض هم أكثر المجرمين انتشارا وخطورة. أما الحقيقة فلا تهم: فإذا كانت جريمة اغتصاب صبي في الثالثة عشرة من عمره، أو الموت جرا لطفل في السادسة من عمره هي جرائم قام بها متهم سابق أسود، أو إذا كانت بشاعة عرقية في وتشيتا جرائم لا تلائم، أو أسوأ من ذلك إذا كانت تناقض النص، فادفن القصة.

في كتاب تعاليم الثورة لا تتأهل ثلاثون جريمة قتل لشباب على يد السادي جون وين غاسي لتكون جرائم بغضاء، أما لو أن غاسي ضُرب خارج بار للشواذ من أجل التودد إلى صبي من الأخوة، لكان ذلك قد تأهل ليكون جريمة بغضاء. ولكانت جريمة قتل الدكتور كنغ قد تأهلت لتكون جريمة بغضاء لأن قاتله جيمس إيرل راي أبغضه بصفته قائداً أسود، ولكن جريمتي قتل جون إف. كينيدي بيدي كاسترووي وقتل روبرت كينيدي بيد فلسطيني متطرف لا تتأهلان لتلك التسمية.

ومثلما هو الأمر في القُدّاس، فإن إعادة التمثيل للعشاء الأخير لعدد لا نهاية له من المرات، والعشاء الأخير منسك من مناسك الكاثوليكية، فإن السرد المتكرر للتفاصيل الملتهبة لجرائم البغضاء هو شعيرة عملية في الإيمان الجديد، وتمتلك جريمة البغضاء النموذجية دائما العناصر نفسها: العقدة، والبطل، والشرير والضحية: التقدميون يتصدون للمتعصبين البيض نيابة عن

الأقليات العاجزة عن الدفاع عن نفسها. ولا يتوقف أبدا البحث عن جرائم بغضاء جديدة من قبل وسائل الإعلام وهي الوسائل التي صارت ذراع دعاية للثورة. لأن كل جريمة بغضاء مكتشفة مجددا تعيد توكيد عقيدة منزهة عن الخطأ هي: في الأعماق أمريكا هي أمة موصومة بالخوف من الإنسان الشاذ وهي أمة متعصبة. وكما تقول السيدة سونتاغ: "العرق الأبيض هو سرطان التاريخ الإنساني."

ولكن كيف استولى هذا الدين الجديد على أمريكا المسيحية المحافظة منذ الأمس فقط؟ ومن أين أتى هذا الدين الجديد؟

obeikandi.com